المنة

بالهداية إلى طريق الجنة

obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الإدارة والمركز الرئيسي: ٧٦أ ش جسر السويس – ميدان الألف مسكن – القاهرة
تليفون وفاكس: ٢٤٩٣١٠٧٤ (٠٠٢٠٢)
رئيس مجلس الإدارة: ٠١٢/٧٧٥٥٩٥١ (٠٠٢)
الإدارة والمبيعات: ٠١١/٤١٥٥٧٧٧ (٠٠٢) ٠١١/٤١٥٥٨٨٨ (٠٠٢)
البريد الالكتروني: muhaddethin@yahoo.com

obeikandl.com

المنة
بالهداية إلى طريق الجنة

بقلم
أم مسلم

obeikandl.com

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

obeikandl.com

أَمَّا بَعدُ: فإنَّ خيرَ الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال الله تعالى: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ما أجمله من نداء تتوق له النّفوس، وتشتاق إلى سماعه الآذان، وتفرح به القلوب.

نعم، تتوق النفوس إلى مجاورة الملك القدوس في جنة غرس الله كرامتها بيديه، وختم عليها، في جنة نلقى فيها الأحبة؛ محمدًا ﷺ وحزبه.

إنها الجنة التي نسمع فيها كلام الرحمن من الرحمن جل جلاله، إنها الجنّة التي نرى فيها ربنا، يا له من نعيم!!!

فوالله ما تنعم أهل الجنة بنعيم أعظم من رؤية الله تعالى،

وما تعذب أهل النار بعذاب أشد عليهم من حجبهم عن رؤية ربهم.

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥].

فالحمد لله الذي جعل الجنة لعباده المؤمنين، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها، وسهل إليهم طرقها، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم، وجعل لهم موعدًا فيها يدخلهم.

فحيَّ على جنَّاتِ عَـدنٍ فإنهـا منازلنـا الأولى وفيهـا المخَـيَّمُ

فحي على جنات عرضها كعرض السّماوات والأرض، قال فيها مَنْ خلقها وأوجدها: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

قال خزنة الجنّة لأهل الجنة: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾، فبدؤوهم بالسّلام المتضمن للسلامة من كلِّ شرٍّ ومكروه، أي: سلمتم، فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون.

ثمّ قالوا لهم: ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ فإنّ الله حرّمها إلاّ على الطيّبين؛ فبشروهم بالسلامة، والطيب، والدخول، والخلود.

روى مسلم في صحيحه عن النّبي ﷺ: «**إنَّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنّة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهي كظيظٌ من الزّحام**»(١).

---

(١) مسلم (٢٩٦٧) من حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه.

فالجنّة لها أبواب ثمانية...

فعن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ أنّه قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ، أو (يسبغ) الوضوء، ثمّ يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله. إلاّ فتحت له أبواب الجنّة الثّمانية، يدخل من أيها شاء**»[(١)].

انظروا إلى كرمه، وجوده سبحانه وتعالى، يعطي الكثير على القليل، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فهي دار طابت، وطاب نعيمها.

قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: خلق الله أربعة أشياء بيديه؛ العرش، والقلم، وعدن، وآدم -عليه السّلام-، ثمّ قال لسائر الخلق: كن، فكان[(٢)].

---

(١) مسلم (٢٣٤).

(٢) رواه الحاكم (٣٢٤٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

فما بالكم بدار بناها الله، وبستان غرسه الله، وبنعيم أعده الله لمن أطاعه.

ولا يشفى صدورنا بالحديث عنها سوى رسول الله ﷺ، فاستمعوا إليه يقول: «**خلق الله تبارك وتعالى الجنّة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك، فقال لها: تكلّمي. فقالت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك**»[1].

ولقد صدق مَنْ قال:

اعمل لدار بقاءٍ رضوانُ خازنها الجـارُ أحمـدُ والـرحمنُ بانيهـا

أرضٌ لها ذهبٌ والمسكُ طينتها والزعفرانُ حشيشٌ نابتٌ فيهـا

تعالوا نلقي نظرة على حدائقها، وبساتينها، ونتجوّل بين

(١) الطبراني في الأوسط (٣٧٠١).

أشجارها، وثمارها، وأنهارها، فعسى أن تلين قلوبنا، وتتحرّك نفوسنا؛ فنوقن أن الحياة مهما طالت فهي قصيرة، وأنها مهما عظمت فهي حقيرة، وأنّ كلّ نعيم دون الجنّة سراب، وكلّ عذاب دون النّار عافية.

openkandl.com

أنهار الجنة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾ [محمد: ١٥].

فمن آياته سبحانه: أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، وهذه الأنهار الأربعة تتفجر من أعلى الجنّة، ثمّ تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها.

كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال: «**إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، كلُّ درجتين ما بينهما كما بين السّماء والأرض، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس؛ فإنّه أوسط الجنّة،**

وأعلى الجنّة، وفوقه عرش الرّحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[١].

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهرٌ في الجنّة، حافّتاه من ذهب، ومجراه على الدرِّ والياقوت، تربته أطيب ريحًا من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج**»[٢]، فهذه أنهارها وقفنا عليها، فكيف هي أشجارها، وثمارها؟!

يروي لنا إمام أهل الحديث البخاري -رحمه الله- حديثًا عجيبًا، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا**

---

(١) البخاري (٢٦٣٧، ٦٩٨٧).

(٢) الترمذي (٣٣٦١) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة (٤٣٣٤).

خطر على قلب بشر»[١] اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي الجنة شجرة يسير الرّاكب في ظلّها مئة عام لا يقطعها. واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٣٠][٢].

وموضع سوط أحدكم من الجنّة خيرٌ من الدّنيا وما فيها واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥][٣].

---

(١) البخاري (٣٠٧٢).

(٢) البخاري (٣٠٨٠).

(٣) البخاري (٢٧٣٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي.

ثمار الجنة وزروعها

وفي مسند الإمام أحمد عن جابر ﷺ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في صلاة الظهر، والنّاس في الصّفوف خلف رسول الله ﷺ، فرأينا رسول الله ﷺ يتناول شيئًا، فجعل يتناوله، فتأخّر وتأخر النّاس، ثمّ تأخّر الثّانية فتأخّر النّاس فقلت: يا رسول الله، رأيناك صنعت شيئًا ما كنت تصنعه في الصّلاة؟ فقال: «**إنّه عُرضت عليّ الجنّة بما فيها من الزهرة والنّضرة، فتناولت قطفًا من عنبها، ولو أخذته لأكل منه من بين السّماء والأرض لا ينقصونه، فحيل بيني وبينه**»(١).

---

(١) أحمد (١٤٨٤٢)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، فقد تفرد عبد الله بن محمد بن عقيل به بهذه السياقة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٨٢، ٢٤٨٣): وفي الإسنادين عبد الله بن محمد بن عقيل، وفيه ضعف، وقد وثق.

obeikandl.com

وفيها من الثّمار والزّرع ما لا نستطيع وصفها إلا بقوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢١-٢٤].

إنَّ نعيم الجنّة يعجز المرء عن وصفه، ويصعب حصره، وضبطه، وكيف يوصف ما لا يفنى ولا يبيد؟! وكيف يوصف ما لا يُدرك كنهه، ولا يُعرف أوّله وآخره؟!

قرأ عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم- قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤] قال: لقد أخبرتم بالبطائن، فكيف بالظّواهر؟!!

فالبطائن من استبرق، فكيف ستكون الظّواهر؟! نسأل الله من فضله، وألا يحرمنا خير ما عنده بسوء ما عندنا.

أمَّا الرّسول ﷺ فإنّه يصفُ لنا النّعيم العظيم فيقول ﷺ: «**من يدخل الجنّة ينعمُ ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنّة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»(١).

ما أكثر الكلام عن ما أعدّه الله لعباده في دار كرامته من القصور، ومن الخيام، ومن المطايا، والثّمار، والحليّ، والحلل، ما لا نستطيع حصره في هذه الرّسالة، ولكن سأشير إلى ألذّ نعمة، وأعظمها، وأشهاها.

(١) مسلم (٢٨٣٦) من حديث أبي هريرة.

obeikandi.com

رؤية رب العالمين

هي الغاية التي شمّر لها المشمّرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا نالها أهل الجنّة نسوا ما هم فيه من النّعيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصّحابة، والتّابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد -رضي الله عنهم- قال الرّسول ﷺ إن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تمارون في القمر ليلة بدر ليس دونه حجاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»[١].

---

(١) البخاري (٧٧٣)، ومسلم (١٨٢).

obeikandl.com

وروى مسلم في صحيحه عن صُهيب، عن النّبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنّةِ الجنّةَ يقول الله -عزَّ وجلَّ-: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنّة، وتُنجينا من النّار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النّظر إلى ربّهم، ثمّ تلا هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾** [يونس: ٢٦]»[١]

و قال ابن مردوية في تفسيره[٢]: عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: «**من البهاء والحسن**»، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: «**في**

(١) مسلم (١٨١).

(٢) كما في الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٣٥٠)، وبنحوه عند الترمذي (٣٣٣٠)، وقال: هذا حديث غريب. ثم أطال الكلام في الاختلاف في رفعه ووقفه.

opelkanadi.com

وجه الله عزّ وجل».

فاللهمّ ارزقنا لذة النّظر إلى وجهك الكريم، والشّوق إلى لقائك في غير ضرّاء مضِرّة، ولا فتنةٍ مضِلّة.

إنّها الجنّة ورؤية الله تعالى، وصحبة النّبيّ محمّد ﷺ، إنّه النّعيم المُقيم، والرّاحة الأبديّة.

obeikandl.com

الأعمال الموصلة إلى جنة النعيم

إذا كنا قد أشرنا مجرد إشارات إلي الجنة خفقت لها القلوب وطربت لها النفوس ، فكيف السبيل إليها؟ وما الطرق الموصلة لها؟

أليس الله تعالى يقول-وقوله الحق-: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] فماذا كانوا يعملون؟ ما هي الأعمال الّتي توصل إلى تلك الدّار؟.

هناك جملة من الأعمال من حققها وواظب عليها فإنا نرجو رحمة الله من ورائها ومن هذه الأعمال :

التوحيد: فهو أعظم، وأجلّ الأعمال التي تُدخل الجنّة، بل هو أساس كلّ الأعمال، وهو الّذي أرسل الله من أجله الرُّسل، وأنزل الكتب، وخلق الجنّة، والنّار، وأوجد يوم المعاد، إنه التّوحيد، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] يقول العلماء: يعبدون أي: يوحدون.

فالتّوحيد هو أصل الأصول، وأوجب الواجبات، ورأس الأمر، وأساس الملّة، ومفتاح الجنّة؛ قال رسول الله ﷺ: «**مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله**»(١).

فقد جعل الله لكلّ شيء مطلوب مِفتاحًا يُفتحُ به؛ فجعل مفتاح الصّلاة الطّهور، قال رسول الله ﷺ: «**مفتاح الصّلاة الطّهور، وتحريمها التّكبير**»(٢).

كذلك مفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصّدق، ومفتاح

(١) ذكره البخاري في صحيحه (١/ ٤١٥) من كلام وهب بن منبه، ورُوي مرفوعا من حديث معاذ عند أحمد (٢٢١٥٥)، والطبراني في الدعاء (١٤٧٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٠١): رواه أحمد، ورجاله وثقوا، إلا أن شهرا لم يسمع من معاذ.

(٢) رواه الترمذي (٣) وقال: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب، وأحسن، وعبد الله بن محمد بن عقيل هو صدوق، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

الجنّة التّوحيد، ومفتاح العلم حسن السّؤال، وحسن الإصغاء، ومفتاح الظفر الصّبر، ومفتاح الرّغبة في الآخرة الزُّهد في الدُّنيا.

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح أبواب الخير، والشّر؛ لأن الله جعل لكلّ خيرٍ، وشرّ، مفتاحًا، وبابًا يدخلُ منه إليه.

والتوّحيد: هو تحقيق لا إله إلاّ الله، ولأجلِهِ مكث النّبي ﷺ في مكّة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس: «**قولوا لا إله إلاّ الله تُفلحوا**»[1]، لم يأمرهم بصيام، ولا بزكاة؛ وإنّما بكلمة لا إله إلاّ الله.

---

(١) رواه أحمد (١٦٠٦٦)، والحاكم (٣٩) من حديث ربيعة بن عباد الديلي. وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

ولكن هل يكفي فقط النّطق بها دون معرفة معناها؟ وشروطها؟ ونواقضها؟ لا والّذي خلق الخليقة.

إذا كان للصلاة أركان، وللحجّ أركان، ومن لم يأت بها بطلت صلاته، وبطل حجّه، فكيف بكلمة عظيمة جليلة؟ ما جاء نبي، ولا أُرسل رسول، إلا وقال لقومه: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [هود: ٨٤] إذًا ما معنى هذه الكلمة؟ وما شروطها؟ وما نواقضها؟

معناها: لا معبود بحقّ إلا الله، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

فالعبادة كلها من عمل اللسان والجوارح وعمل القلب ، والعبادات المالية يجب أن تكون لله وحده

فالذبحِ، والنذرِ عبادة مالية لا تكون إلا لله

وعمل اللسان من الحلفٍ،والاستعانة وغيرهما[١] وعمل الجوارح من ركوعٍ، وسجودٍ،وانحناء للتعظيم ودعاءٍ، وغيرها، وعمل القلب من الخوف والرجاء ، والتوكل والإنابة والخشية والحب يجب أن تكون لله وحده، لا يُشاركه فيها أحد، لا نبيّ مرسل، ولا ملكٌ مقرّب.

أمّا شروطها: فهي سبعة جمعها النّاظم في قوله:

---

(١) حذر النبي ﷺ من كلمات أو بعض كلمات يقولها الناس يتهاونون بها ولا يبالون بما فيها من شرك ولو كان شركا أصغر فمن ذلك قوله ﷺ: «**ولا تقل لو أن كذا لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**»، ومن ذلك ما خرجه ابن ماجة بإسناد صحيح في قصة طويلة من حديث عائشة: «... **لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله وحده**» إلى غير ذلك من النصوص.

وبشروطٍ سبعةٍ قد قُيِّدت وفي نُصوص الوحي حقًّا
فإنه لم ينتفع قائلها بالنّطق إلاّ حيث يستكملُها
العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول
والصِّدق والإخلاص والمحبّة وفقك الله لما أحبّه[1]

أمّا نواقضها، والتي هي نواقض الإسلام، فمعرفتها تُجنّب المرء أن يقع فيها؛ فحذيفة رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ كان يقول: كان النّاس يسألون النّبي ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشّرّ مخافة أن يدركني.

---

(١) هو العلامة الشيخ حافظ حكمي في منظومته المشهورة: سلم الوصول، وقد شرحها في كتابه القيم «معارج القبول» مطبوع في مجلدين.

يقول الشّاعر:

عرفتُ الشّرّ لا للشّرّ ولكن لتوقّيه

ومَنْ لم يعرف الخير من الشّرّ يقع

وهذه النواقض:

١- الشّرك بالله.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، ويسألهم الشّفاعة، ويتوكّل عليهم.

٣- من لم يُكفّر المشركين، أو شكّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم.

٤- مَن اعتقد أنّ غير هدي النّبيّ ﷺ أكمل من هديه، أو أنّ حُكم غيره أحسن من حكمه.

٥- من أبغض شيئًا مما جاء به الرّسول ﷺ.

obeikandl.com

٦- من استهزأ بشيء من دين الرّسول ﷺ، أو ثوابه، أو عقابه.

٧- السّحر، مَنْ فعله، أو رضي به.

٨- مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين.

٩- مَنْ اعتقد أنّ بعض النّاس يسعه الخروج عن شريعة محمّد ﷺ.

١٠- الإعراض عن دين الله، لا يتعلّمه، ولا يعمل به[١].

فمن أتى بناقض من هذه النواقض فقد وقع في الكفر، نسأل الله السّلامة والعافية، لا فرق بين الهازئ، والجادّ، والخائف، إلاّ المُكره.

---

(١) يراجع كتاب «نواقض الإسلام وضوابط التكفير» للدكتور محمد عبد الله الوهيبي فإنه جيد.

obeikandl.com

وهنا لطيفة جميلة نختم بها كلامنا عن التّوحيد:

وهي أنّ صاحب التّوحيد دائمًا في خير وعافية، فمآله إلى السّعادة، والفلاح، حتى وإن كان من أصحاب الذنوب والمعاصي، كما في حديث البطاقة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل منها مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك؟ فيقول: يا رب ما هذه البطاقة، مع هذه السجلات؟! فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في**

كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[(١)].

قال الرّسول ﷺ: «**مَنْ قال لا إله إلا الله، نفعته يومًا من دهره**»[(٢)].

ومن أخصر الطرق إلى الجنة :

المتابعة: هي الاقتداء بالنّبيّ ﷺ في كلّ ما ثبت أنّه عبادة، وهي شرط في صحّة العمل؛ لأن شرطي قبول العمل: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للنبي ﷺ، قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾: أخلصه،

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩) وقال: حسن غريب، والحاكم (٩)، وصححه هو والذهبي، على شرط مسلم.

(٢) البزار (٨٢٩٢)، والطبراني في الأوسط (٣٤٨٦)،من حديث أبي هريرة. وقال الهيثمي في المجمع (١٣) رجاله رجال الصحيح.

وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه، وأصوبه؟ قال: العمل إذا كان خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

والنبيّ ﷺ يقول في الحديث الذي روته عائشة -رضي الله عنها-: «**مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردّ**»(١).

أمرنا أي ديننا؛ فكلُّ عبادة لم تكُن على سُنّة نبيّنا محمد ﷺ فهي مردودةٌ على صاحبها.

وهل يُعرفُ الدّين إلاّ عن طريقه ﷺ، فالخير كلّ الخير في ما جاء به ﷺ، وكلُّ مدّعٍ حبّ الله تعالى لا يكون صادقًا حتى يتبع النّبيّ ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٣١] وكلّ

(١) البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٨).

إنسان يدّعي حُبّ الله تعالى، ويسعى إلى ما يرضيه، ويجتنب ما يبغضه، فالآية الكريمة ترشده إلى اتباع النبيﷺ.

هذه الآية العظيمة التي يسميها العلماء بآية «المحنة» يعني الامتحان؛ لأن قوما ادعوا أنهم يحبون الله تعالى، فأنزل الله: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٣١] وكل إنسان يدعي حب الله، ولكن الشّأن كلُّ الشّأن أن يُحبك الله، وهذا لا يحصل إلاّ بالاتّباع.

اللهمّ أحينا على سُنّة نبينا محمد ﷺ، وأمتنا على ملّته، واحشُرنا في زُمرته.

ومن خالفه ﷺ ضلّ طريق الجنّة، وكان عمله لا قيمة له؛ فكلُّ عملٍ بلا إخلاص رياء، وكلّ عملٍ بلا مُتابعة عناء، وحسب المخالف لسنته قول الله تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ

تُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ، فيهلك.

وحسبُ المُخالفِ قوله ﷺ: «**فمَنْ رغب عن سُنّتي فليس منّي**»(١).

وهل تأتي مخالفة النّبيّ ﷺ إلا بالشّرِّ، فأقّلُها أن يقع المرء في البدع، وهو ﷺ الذي يُحذِّرُنا، وينهانا عنها في أغلب خطبه، حيثُ كان يقول: «**وشرّ الأمور مُحدثاتُها، وكلُّ مُحدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة**»(٢).

---

(١) مسلم (١٤٠١) من حديث أنس.

(٢) مسلم (٨٦٧) من حديث جابر.

فنهاية البدعة إلى أين؟ نهايتُها في النّار -والعياذُ بالله- وما لنا وللنّار؟ وهل ضاقت بنا السنّة حتّى نسعى إلى ما يوصلنا إلى النّار؟ لا والله، لقد أرسل الله لنا من وصفه بالرّأفة، والرحمة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال الرّسول ﷺ: «**قد تركتكم على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»(١).

فهو ﷺ لم يترك خيرًا إلاّ ودلّنا عليه، ولم يترك شرًا إلاّ ونهانا عنه.

بأبي هو وأُمّي، فجزاه الله خير ما جزى به نبيًّا عن أُمّته، هو القائل ﷺ: «**كل أُمّتي يدخلون الجنّة إلاّ مَنْ أبي**»، قيل: ومَنْ

(١) أحمد (١٧١٨٢)، وابن ماجة (٤٣) من حديث العرباض بن سارية. وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه، وشواهده.

يأبي يا رسول الله؟ فقال: «**مَنْ أطاعني دخل الجنّة، ومَنْ عصاني فقد أبى**»[١].

ومَنْ يأبى يا رسول الله؟ وهل هناك مَنْ يسمع هذا الحديث ويرغب عن سنّتك؟

اللهمّ ردّ عبادك إلى كتابك، وسنّة نبيّك ﷺ، فلا بد في العبادة من الاتّباع.

والعبادة: هي كما عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: هي اسمٌ جامع لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال الظّاهرة، والباطنة.

ولكن كيف نعرف العبادة؟

هذه قاعدة مهمّة: وهي أنّ العبادة لها علامات:

---

(١) البخاري (٦٨٥١) عن أبي هريرة.

obeikandl.com

العلامة الأولى: أن يأتي في النّصوص ما يدلُّ على محبّة الله جلّ وعلا، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فالتّوبة، والطّهارة، أمرٌ يُحبُّه الله؛ إذن فهي عبادة.

العلامة الثّانية: أن يرتّب الله عليها أجرًا؛ فإذا رتب على هذا العمل أجرًا، وثوابًا، كان هذا العمل عبادة.

مثل حديث النّبي ﷺ يقول: «**مَنْ صام يومًا في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النّار سبعين خريفًا**»[1]، فالصِّيام في سبيل الله ترتّب عليه ثواب؛ إذن فهو عبادة.

العلامة الثالثة: أن يمتدح الله -جلَّ وعلا- هذه العبادة، وأهل هذه العبادة، وأهل هذا العمل في كتابه، أو في سنّة حبيبه

---

(١) البخاري (٢٦٨٥) من حديث أبي سعيد.

ﷺ، فكون الله جلّ في عُلاه يمتدح أهل هذه العبادة، فهذا دليلٌ على رضا الله تبارك وتعالى عن هذا العمل، وعن فاعله، كما قال ﷺ في حقّ الرّجال: «**إزرة المؤمن إلى نصف السّاق**»(١)، فهذا وصف النّبي ﷺ بمَنْ هذا حاله -يعني مَنْ قصر ثوبه إلى هذا الموضع- وصفه بالإيمان؛ فدلَّ على أن هذا العمل عبادة.

العلامة الرّابعة: أنْ يأمر الله به، أو أن يأتي في النّصوص الشّرعيّة، سواء كان هذا الأمر على وجه الوجوب، أم على وجه الاستحباب؛ فإذا أمر الله بأمر كان هذا دليلٌ على أنّ هذا الفعل عبادة مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٢].

فإذا ثبت في عمل من الأعمال علامة من هذه العلامات،

---

(١) أحمد (١١٢٧٤) من حديث أبي سعيد. وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

فهو عبادة؛ وبالتّالي وجب صرفه لله على النّحو الذي جاء به النّبيّ ﷺ.

كذلك من الأعمال العظيمة التي تنتهي بصاحبها إلى الجنّة:

التوبة:

التوبة بابٌ عظيم من الأبواب التي يُدخل منها على الرؤوف الرّحيم -جلّ وعلا- بابٌ ما طرقه الطّارق صادقًا إلا وفُتِح له.

ومن معتقد أهل السُّنَّة والجماعة أنّ الإيمان قولٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان، يزيدُ بالطّاعة، وينقُصُ بالمعصية.

هذا مُعتقدُنا، نعتقدُ أنّ الإيمان يزيد وينقص، وأنّ الإنسان يطيعُ ويعصي، وأنّه ليس شرطًا في المتّقين أن يكونوا معصومين؛ بل قد يعصي العبد، وقد تُضلُّه المعصية وتُبعده عن الطّريق

لوقت يطول، أو يقصُر، فإذا تاب، تاب الله عليه.

اللّهمّ تُب علينا، وعلى عُصاة المسلمين، مَنْ منّا ليس فيه شيءٌ من التّهاون، والتّفلّت، أو التّساهل ببعض المُخالفات، أو التّثاقل عن بعض الطّاعات.

ولكن لنُذكِّر أنفسنا بهذه الآية التّي تتجلّى فيها سعة رَحمة ربنا: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

يدعونا ربُّنا وحبيبُنا إلى التّوبة، ويُطمِّعُنا في واسع رحمته.

ونبيُّنا محمد ﷺ كان يقول: «**إنّي لأستغفر الله وأتوبُ إليه في اليوم سبعين مرّة**»(١).

---

(١) البخاري (٥٩٤٨) من حديث أبي هريرة.

وفي رواية «مئة مرّة»[١].

هذا النّبيّ ﷺ، وهو الّذي غفِر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، يستغفر ويتوب!! فكيف بنا نحن والمقصِّرين أمثالي؟! أفلا نتوب؟! وقد تاب قبلنا آدم وزوجه -عليهما السّلام- حين قالا: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وتاب قبلنا إبراهيم -عليه السلام- حين قال: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وتاب موسى -عليه السلام- حين قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦].

---

(١) ابن ماجة (٣٨١٥).

فلنطرق باب التّوبة فإنّ الله يقول: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

فلعلّنا نُفلح، ولعلّها تطهُر نفوسُنا، وتخفّ أحمالنا، ونضع أرجُلنا على طريقٍ منتهاه إلى دار النّعيم.

التَّوبة لها شروط:

أولها : الندم: فإنه لا تتحقّق التّوبة إلا به، ففي المسند من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**التَّوبة ندم**»(١).

الثاني- الإقلاع: وذلك أنَّه تستحيل التّوبة مع مباشرة الذنب.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة (٢٧٧٥١، ٢٧٧٥٢)، وهو عند أحمد (٣٥٦٨)، وابن ماجة (٤٢٥٢). وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد حسن.

الثالث- العزم على عدم العودة لذلك: وهذا ما يدُلُّ على صدق توبته، وإخلاص نيّته.

الرابع- إرجاع الحقوق إلى أصحابها: وذلك بالتّحلُّل ممَنْ كان له حقٌّ عنده، فحقُّ العباد لا يغفره الله حتى يغفر صحابه ويرضى.

ومن تمام التَّوبة إظهار الضّعف، والمسكنة، والانكسار بين يديه، وإظهار أنّه ضحيّة غلبة الشّيطان، وقوّة سُلطان النّفس الأمارة بالسُّوء.

والتَّوبة الصحيحة المقبولة التي يكون صاحبُها محبوبًا عند الله، لها علامات:

١- أن يكون بعد التَّوبة خيرًا مما كان قبلها.

٢- ومنها أن لا يزال الخوف مصاحبًا له، لا يأمنُ مكر الله

طرفة عين؛ فخوفه مُستمرّ إلى أن يسمع قول الملك عند قبض روحه: ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

٣- ومنها حزن القلب، وتقطعه ندمًا، وخوفًا، وهذا على قدر الذّنب، وهذا تفسير ابنُ عيينة لقوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٠].

٤- ومن العلامات كذلك انكسارةٌ خاصّةٌ تحصل للقلب، لا يُشبهها شيء، ولا تكون لغير المذنب؛ فليس شيء أحبُّ إلى الله من هذه الانكسارة.

فاللهمّ ارزقنا توبة نصوحة مقبولة، نلقاك بها وأنت راضٍ عنّا.

ولا نزال نبحث عن الطّرق التي تُؤدي إلى دار الخلود، إلى الجنّة التي شوَّقنا لها أبونا إبراهيم -عليه السلام- حين قال لنبيِّنا

محمد ﷺ ليلة أُسري به: «**يا محمد، اقرئ أمّتك منّي السّلام، وأخبرهم أنّ الجنّة طيّبة التُّربة، عذبة الماء، وأنّها قيعان، غراسها سُبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(١).

كيف السّبيل إليها؟!!

قيام الليل:

إنّ قيام الليل من أجلّ العبادات التي توصل إلى الجنّة، أليس النّبيّ ﷺ يقول: «**يا أيُّها النّاس أفشوا السَّلام، وأطعموا الطّعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي عن ابن مسعود (٣٤٦٢) وقال: حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود.

(٢) الترمذي (٢٤٨٥) وقال حديث صحيح، وابن ماجة (٣٢٥١) من حديث عبد الله بن سلام.

obeikandl.com

وقال ﷺ: «**أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصّلاة في جوف الليل**»(١).

نعم، قيام الليل ... تلك المدرسة التي ربى فيها نبيُّنا محمد ﷺ أصحابه حتى أصبحوا سادة الدُّنيا، وملوك الآخرة، فالشَّرف كلُّ الشّرف السّير في ركابهم، واقتفاء آثارهم، والاقتداء بنبيّنا ونبيّهم، والذي قام حتى تفطّرت قدماه، يبغي بذلك شُكر مولاه.

وقد أحسن القائل من أصحاب رسول الله ﷺ حين قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشقّ معروفٌ من الفجر

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين

نسأل الله أن يجعلنا من طُلاّب هذه المدرسة، مدرسة

---

(١) مسلم (١١٦٣).

الإخلاص، وهل يوجد الصّبر، والصّلاة، وعلوّ الهمّة، وعمل السِّر، إلاّ في قيام الليل؟!

حين يترك المتهجّد دفء الفراش، ويصفّ قدميه في محرابه بين يدي مولاه، مُنكسِرًا بين يديه، يدعو تارة، ويُرتِّل كلامه تارة، ويتذلل إليه بالعبارات تارة، اللهمّ اجعلنا منهم يا الله، ومنَّ علينا بفضلك مع مَنْ مننت عليهم.

وفي حديث أبي أُمامة الباهليّ ﷺ: «**عليكم بقيام اللّيل؛ فإنّه دأب الصّالحين قبلكم، وقُربة إلى ربّكم، ومُكفِّرة للسيِّئات، ومنهاةٌ عن الإثم**»(١).

وكان أبو ذرّ ﷺ يقولُ للنّاس: أرأيتم لو كان أحدكم أراد

---

(١) الترمذي (٣٥٤٩)، والحاكم (١١٥٦) وصححه على شرط البخاري، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث بلال إلا من هذا الوجه من قبل إسناده.

سفرًا، أليس يتّخذُ من الزّاد ما يصلُحه، ويبلِّغه؟ قالوا: بلى. قال: فسفر القيامة أبعد؛ فخُذوا ما يُصلحكم، حجّوا حجّة لعظائم الأمور، صوموا يومًا شديدًا حرّه لحرّ يوم النّشور، صلّوا ركعتين في ظُلمة الليل لوحشة القبور، تصدّقوا بصدقةٍ ليومٍ عسير[1].

ولقد مدح الله تعالى المستيقظين بالليل لذكره، ودعائه، واستغفاره، ومناجاته، امتدحهم وجعلهم في جُملة عباده الأبرار، عباد الرّحمن قال تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

فأوصيكم ونفسي بهذه العبادة العظيمة؛ فوقتها أفضل أوقات التّطوّع بالصلاة؛ أقربُ ما يكون العبد من ربّه هو وقت النّزول الإلهي إلى السّماء الدُّنيا، وهو وقت فتح أبواب السّماء،

(١) حلية الأولياء (١/ ١٦٥).

واستجابة الدُّعاء واستعراض حوائج السّائلين.

فنسأل الله أن يجعلنا من جُملة المُتهجّدين المُستغفرين بالأسحار، المناجين له بالليل والنّهار.

الدعاء:

واعلموا أنّ قيام الليل حُسنه وزينته بالدُّعاء، يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ﴾ [الفرقان: ٧٧].

ويقول الشّافعيّ:

أتهـــزأ بالـــدُّعاء وتزدريـــه ولا تـدري بـما صـنع الـدُّعاء

سهام اللّيـلُ لا تُخطـي ولكـن لهـا أجـلٌ وللأجـل انقـضاءُ

الدّعاء يا إخوتي هو العبادة.

هو سلاح المؤمن، وسهامُ الليل، فحاجتنا للدعاء كحاجتنا

للدواء.

ولنتساءل، هل من وقف يدعو الكريم الغنيّ الذي خزائنه ملأى، أن يُسكنه الجنّة، ويُدخلهُ في زُمرة السّابقين الذين لا حساب عليهم، ولا عذاب، هل تراه يمنعُه؟

لا والذي لا إله غيره، فهو أكرم الأكرمين، وأرحم الرّاحمين، وأجود الأجودين.

كان عمر بن الخطاب ﷺ يستنصر على العدوّ بالدّعاء، وكان من أعظم جُنده، وكان يقول لأصحابه: لستُم تُنصرون بكثرة، وإنّما تُنصرون من السّماء.

وكان يقول: إنّي لا أحملُ همَّ الإجابة، ولكن أحملُ همّ الدّعاء؛ فمن أُلهم الدُّعاء، أُلهم الإجابة.

وقد بشر صلوات الله وسلامه عليه الرجل الذي ألهم

الدعاء بأنه من المرحومين فقال: «**مَنْ فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئًا أحب إليه من أن يسأل العافية**»(١).

والدعاء عبادة؛ لأنه تذلل، وتخشع، وافتقار لمن بيده ملكوت كل شيء، وامتثال لأمر الله تعالى حيث قال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠].

فمن العجز يا عباد الله: أن تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتذر مَنْ يفتح لك بابه في كل وقت، ويظهر لك غناه، قائلاً: «**هل من داعٍ فأستجيب له، هل**

---

(١) الترمذي (٣٥٤٨) من حديث ابن عمر، وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف.

من سائلٍ فأعطيه، هل من مستغفرٍ فأغفر له؟!»[١].

فعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمركم أن تسألوه، ووعدكم أن يجيبكم.

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدمَ حاجةً وسل الذي أبوابه لا تُحجبُ

الله يغضبُ إن تركتَ سؤاله وبُنَيِّ آدمَ حين يُسأل يغضبُ

فالعبد يجب أن يثق أن الله وحده هو الحقيق بأن يُقصد، وأن يُستعان؛ فلينقطع عما سواه، ولينطرح بباب مولاه، متوسدًا أعتابه، لائذًا بحماه، ملتمسًا من واسع رحمته، وخزائن جوده الحاجات.

قال ﷺ: «**لا تعجزوا عن الدعاء؛ فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد**»[٢].

---

(١) مسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه ابن حبان (٨٧١)، والحاكم (١٨١٨) وصححه من حديث أنس رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «**إن الله رحيم كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه، ثم لا يضع فيهما خيرًا**»(١).

وبيّن ﷺ كيفية هذه الإجابة أنها كلها خير للدّاعي، قد يدركه حالاً، أو مآلاً؛ فحال الدّاعي كله خير، علم ذلك، أو جهله.

قال ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعة رحم، إلاّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمّا يعجل دعوته، وإمّا يدخرها له في الآخرة، وإمّا يصرف عنه من السّوء مثلها**» قالوا: إذًا نُكثر؟ قال: «**الله أكثر**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨) من حديث سلمان وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٧).

(٢) أحمد (١١١٤٩) من حديث أبي سعيد، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

هذا هو الدعاء، وهو أعظم الأسباب الموصلة إلى الجنة؛ فلنكثر منه، ولنُحضر قلوبنا عنده، ولنتحر أوقات الإجابة، ولا ننسى آباءنا، وأمهاتنا، وأمواتنا، وإخواننا المُستضعفين في كل مكان.

هذا، وننتقل إلى آخر محطة نصل من خلالها إلى كلّ المحطّات؛ لأن من خلالها يمكن أن تعرف كل الطّرق التي تؤدي إلى الجنّة؛ فإن كنتُ ذكرتُ من الأعمال التي توصل إلى الجنّة ما تستوعبه هذه الرّسالة.

فسنختم بهذا العمل العظيم الذي به تُعرف كل الأعمال التي يحبّها الله ويرضاها، وبه يُعرف الحلال والحرام، وتعرف فضائل الأعمال، ويُعرف التّوحيد، وبه ينجو صاحبه في الدّنيا والآخرة، إنه:

طلب العلم:

إن طلب العلم عظيمٌ فضله، عاليةٌ منزلته، باسقةٌ شجرته، مباركةٌ ثمرته، محمودةٌ عاقبته في الدّنيا والآخرة.

فدين الإسلام دين علم وبصيرة؛ لذا جاءت النصوص الكثيرة مبينةٌ لفضل العلم وأهله؛ وما ذاك إلا لتشويق النفوس لأن يكون المسلم من أهل هذا الفضل العظيم، والمقام الكريم، يقول ربنا سبحانه: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١].

فالذين أكرمهم الله عزَّ وجلَّ فرزقهم الإيمان، وآتاهم العلم، يرفعهم درجات على غيرهم في الدنيا والآخرة؛ فأهل الإيمان، وأهل العلم، هم أهل الإكرام، وهم أهل الخشية الكاملة لله؛ لأنه كلما كان الإنسان بالله أعرف، كان منه أخوف، وأهل العلم أعرف الناس بربهم؛ لذا قال ﷺ: «**إنّ أتقاكم،**

وأعلمكم بالله، أنا»[١].

وقال النبي ﷺ مبينًا أن طلب العلم هو طريق الجنة: «**مَنْ سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له مَنْ في السموات، ومَنْ في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[٢].

فطريق العلم ميسر لطالب العلم من وجهين:

الوجه الأول: «مَنْ سلك طريقًا»، يقصد به الطريق الحسي

---

(١) البخاري (٢٠) عن عائشة.

(٢) أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء، وحسنه لغيره الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٧٠).

الذي تدوسه الأقدام، مثال: أن يخرج المرء من بيته إلى حِلق العلم، أو سار إلى عالم يستفسر منه أي: سار خطوات من مكان إلى مكان ليتعلم، «سهّل الله له طريقًا إلى الجنة».

والوجه الثاني: وهو سلوك الطريق المعنوي، وهو الذي تدركه الأفهام، أي مَنْ سلك طريقة ليتعلم بها مثال: حفظ متن، أو تدبّر آية، أو ذكر مسألة، فهو داخل في هذا الحديث.

فطلب العلم عبادة تؤدي بصاحبها إلى الجنّة كما قال أهل العلم: مَنْ مات وهو في طلب العلم فهذا من علامة حسن الخاتمة. قال ذلك ابن عبد البر -رحمه الله-.

ذلك لأن العلم قد يحث صاحبه، أو يدله على عمل، أو عبادة تكون سببًا له في النجاة من النار، والدخول إلى الجنة.

يقول سفيان بن عيينة -رحمه الله- وقد قيل له: إلى متى تطلب العلم؟ إلى متى وأنت تجلس وتسمع؟ قال: لعلّ الكلمة

التي تنقذني من النار، وتدخلني الجنة، لم أسمعها بعد.

فهذا سبب في دخول الجنة؛ فبه يعرف الله، ويعبد، ويحمد، ويمجد، وبه اهتدى السّائرون إليه، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، وبه تُعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال والحرام، وبه تُوصل الأرحام، وهو حجة الله في أرضه، ونوره بين عباده، وقائدهم، ودليلهم إلى الجنة، ومدنيهم من كرامته.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: النّاس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة، أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه.

لذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يسأله المزيد منه فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، لم يأمر الله تعالى نبيه بالازدياد من شيء إلا العلم.

نسأل الله أن يفتح علينا بالعلم النافع، والعمل الصالح،

ونعوذ بالله من كل علم يكون حجة علينا، أو يردينا، أو يزيغنا عن طريق نبينا ﷺ.

هذه أعظم الطرق، والأعمال التي تصل إلى الجنة، وهناك من الأعمال ما لا يعد، ولا يحصى، فمن رحمته تعالى أن يجعل الأعمال التي توصل إلى رضاه وجنته كثيرة، ولم يحصرها في عمل واحد.

فقد جعل الله تعالى سخطه في معصيته، وجعل رضاه في طاعته، فلا نعلم أي معصية توقعنا في سخط الله تعالى، ولا نعلم أي طاعة توصلنا إلى رحمة الرحمن، ولكن أذكركم ونفسي بنصيحته ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلق أخاك بوجه طلق**»[1].

---

(١) مسلم (٢٦٢٦).

obeikandl.com

وقوله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[1].

هذا؛ ونسأل الله أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يفتح علينا بالأعمال التي يرضى بها عنّا، ويرفعنا الدرجات العلى في الفردوس الأعلى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

(١) البخاري (١٣٥١) من حديث عدي بن حاتم.

obeikandl.com